البريد الأدبي

رسائل سنت بيف

صدرت أخيراً مجموعة من رسائل سنت بيف العامة ، وهي قسم من رسائله التي لم تنشر ، والتي تملأ نحو عشرة مجلدات ، وتولى إصدارها مسيو جان بونرو مقرونة بمختلف الشروح والبيانات . ومسيو بونرو هو اليوم أعرف الناس بسانت بيف وتراثه الأدبي . ويكفي أن نعرف سانت بيف بكلمة ، هي أنه أستاذ النقد في الأدب الفرنسي ، ويعتبره بعضهم إمام النقد في جميع الآداب والعصور . وتشمل هذه المجموعة الأولى رسائله العامة بين سنتي ١٨١٨ و ١٨٣٥ ، وهو بالنسبة لسنت بيف عهد التكوين الأول منذ مقدمه الى باريس صبياً في الخامسة عشرة حتى التحاقه بتحرير مجلة « العالمين » وتوليه باب النقد فيها . وفي هذه الفترة الحافلة درس سنت بيف الطب ، وبرز في الصحافة ، ونشر كتابه عن الشعر الفرنسي في القرن السادس عشر ، وأنجز قسماً عظيماً من رسائله النقدية ، وأخرج كتابه عن شعر يوسف دبلورم وروايته « الهيام » ، ثم تطورت حياته الأدبية واستقرت حول النقد الأدبي . وفي هذا العهـــد أيضاً تعرف سنت بيف بأقطاب الأدب في عصره مثـل دي فيني ولامرتين وهوجو وبيرانجيه وشاتوبريان ، ولكن العلائق الودية لم تطل كثيراً بينه وبين أحد منهم ، لأن مهمته كناقد أدبي ، وتوغله في ذلك الميدان وصرامته وحدة قلمه ، لم تفسح مجالاً لمثل هذه الصداقة الخاصة ، وهنا تلقي رسائل سنت بيف أكبر ضوء على هذه العلائق والصداقات ، وتبين لنا الى أي حد كان النقاد الأشهر حريصاً على رأيه واستقلاله ؛ بيد أنها تكشف عن ناحية أخرى من صفات سنت بيف ، فهو لم يكن رقيق الطبع ، ولم تكن روحه ترتفع الى مستوى ذهنه من السمو والصقل ؛ والواقع أن هـذه الرسائل الخاصة ليست مما يؤيد عظمة سنت بيف ، وإن كانت تفسر لنا كثيراً من خواص روحه المعقدة ؛ ففيها يبدو لنا قليل الكرم ، قليل الصراحة ، مسرفاً في الحقد ؛ ولعله لم يكن لينفذ الى فكر الغير ومواهبه وأسراره إلا لأنه كان كثير الحقد والبغض

ولئن كان سنت بيف بديعاً لايجارى في تصويره وتحليله للقدماء ، فان أحكامه على معظم معاصريه كانت تتأثر في الغالب بعواطفه الشخصية ، وليس أدل على ذلك من قسوته في الحكم على الفرد دي فيني ، وبلزاك ، وشاتوبريان ، ولامرتين

ذلك أن سنت بيف كان نكد الروح ، وقد كان قبيح الهيئة ، وكان في حاجة لأن يحب ، وكان رقيق الحاسة ، معقد العواطف ، ولم يلق نجاحاً في الحب ولا في المكتبة كشاعر وكاتب وقصصي ، هذا بينما كانت تحيط به عبقريات سـعيدة ، محققة الأماني والرغبات ، تنعم كتبها تأييد الجمهور . وروى أنه قال ذات يوم إذ يشاد أمامه بعبقرية دوموسيه : « لست أقل شاعرية منه » . ولم يكن سنت بيف يجهل معايبه ، بل كان يفطن اليها ويشق بها ، بيد أنه يجب أن نعترف بأنه كان يسمو دائماً بمثله الأعلى كناقد ومؤرخ للآداب ، وأنه لم يكن يدخر وسعاً في خدمة هذا المثل باخلاص ، وهذا هو السر في عظمة تراثه الخالد

ولعل أهم ما تفصح عنه هذه الرسائل الجديدة لسنت بيف هو علاقته مع فكتور هوجو ؛ وقد اتخـذت تلك العلائق صورة مأساة حقيقية . والمأساة معروفة ؛ ولـكن الرسائل تلقي عليها ضوءاً جديداً . وخلاصتها أن سنت بيف وهوجو جمعتهما منذ سـنة ١٨٢٧ مدى ثلاثة أعوام صداقة خالصة لم تشبها شائبة ، ولـكن سنت بيف تغير فجأة . ذلك أنه شعر أنه يهوى امرأة صديقه ؛ وهنالك رسالة عجيبة تفصح عن حالة سنت بيف النفسية في أوائل سنة ١٨٣٠ ، وهي رسالة عنيفة صارمة ينذر فيها سنت بيف بأنه لن يكتب عن رواية « هرناني » التي ستمثل يومئذ ، (وهرناني من تأليف هوجو) ، وأنه لم يعد يحتمل جو الصداقة والشاعرية الذي يعيش فيه مع أصـدقائه منذ تظاهر هوجو بأنه زعيم مدرسة ، وغص منزله بالمعجبين والأنصار حتى أصبح مكاناً عاماً ، والظاهر أنه قد وقعت بين الصديقين على أثر ذلك محادثة اعترف فيها سنت بيف لصديقه بأنه يحب زوجه . وقد كان هوجو في تلك المسألة جواداً كريم النفس ، فاستقبل هجر صـديقه بأدب ، مؤكداً له أنه سيلقى فيه دائماً أخاً وصديقاً . واعتكف

سنت بيف مستسلماً الى الحقد والأسف والغيرة ، مصوباً سهمه لكل من لقيه فى طريقه ؛ وعكف هوجو على مكاتبته ، يعزيه ويروح عنه ؛ ومضت ثلاثة أعوام ، وسنت بيف ماض فى طريقه ، وكلما التقى الرجلان آنسا تلك المرارة التى غشيت صداقتهما ؛ وأخيراً ألقى سنت بيف قناعه ، وأعلن الخصومة على صديقه ، فاستسلم هوجو للقدر . ولكن الذى لم يكن يعلمه هو أن زوجته كانت تثابر خفية على رؤية سنت بيف فى الأماكن المهجورة ، كالكنائس وغيرها ، وكانت تتنزه معه فى عربة . وما يزال التاريخ يتساءل : هل كانت اديل هوجو زوجا خائنة ؟ والرأى المرجح هو أن اديل كانت تبادل سنت بيف حبه ، ولا سيما منذ سنة ١٨٣٢ ، أى مذ غدا زوجها عاشقاً لجولييت دروديه . وقد ضاعت رسائل اديل لسنت بيف ، ولكن سنت بيف كان يحتفظ بصور بعضها ؛ وفيها تتحدث اديل عن حبهما . ولقد أبدلوى بارتو فى كتابه « غرام شاعر » زلة اديل ودلل عليها

وإن فى وسائل هوجو مع ذلك مايدعو حقاً الى التأثر ؛ فقد لبث يجهل كل شىء مدى أعوام ، وتطبع رسائله الى سنت بيف بساطة وثقة ومودة مؤثرة ، فلما ظهرت الحقيقة ووقعت الفضيحة كانت شديدة على نفسه ، ومع ذلك فان اديل هوجو لبثت حيناً بعد ذلك ترى سنت بيف وتحاول أن توفق بين الصديقين القديمين ، وذلك شاهد فى رأى البعض على براءة اديل وطهرها . أكانت تسعى الى مثل هذا الوفاق لو كانت امرأة خؤوناً ؟

(ملخصة عن أميل هريو فى الطان)

للحقيقة والتاريخ

قرأت فى العدد ٨٤ من مجلة الرسالة الغراء مقالاً للكاتب المبقرى الدكتور عبد الوهاب عزام سجل فيه مجلساً من مجالس العلامة الواعية الشيخ الخالدى يذكرنا بالأمالى القيمة التى كان يلقيها فطاحل علماء الاسلام فى عصور مدنيته الزاهرة

وقد لاحظنا فى هذا المقال ملاحظتين بسيطتين أحببنا ألا يفوت قراء الرسالة التنبه اليهما

(١) لما عدد الشيخ دور العلم العظيمة بالمغرب وذكر جامع القرويين بفاس قال : (إن الذى أسسه هو مولاى ادريس الأصغر) والحقيقة أن بناء القرويين كان بعد وفاة المولى إدريس باثنين وثلاثين سنة إذ شرع فى بنائه يوم السبت من شهر رمضان عام خمسة وأربعين ومائتين ، والمولى إدريس الأصغر توفى سنة ثلاث عشرة ومائتين وكان ذلك فى عهد يحيى بن محمد بن إدريس والقائمة بتأسيسه هى السيدة (أم البنين) فاطمة بنت محمد بن أبى بكر الفهرى قدم والدها من القيروان لفاس وتوفى بها وخلف ابنتين فاطمة هذه وأختها مريم ، وأورثهما مالاً كثيراً صرفت فاطمة حظها منه فى بناء القرويين ، وفعلت مريم مثل ذلك فأسست مسجد الأندلس الذى يعتبر من المساجد العتيقة بفاس

(٢) ذكر الشيخ حين نسب كتاب (جذوة الاقتباس) لابن القاضى أنه فشتالى (من فشتالة على نهر ورغة) والمعروف أن مؤلف الجذوة (ابن القاضى) من أولاد ابن أبى العافية المكناسيين ، نسبه لذلك جميع من ترجم له ممن وقفنا عليه ، بل هو نفسه انتسب اليهم فى كتابه لما ترجم لموسى بن أبى العافية أمير مكناسة بعد أن تبرأ من أفعاله مع الأشراف ونص الغرض من كلامه : « ونسبتنا نحن هى إلى هذا الرجل أعنى موسى بن أبى العافية والله أعلم ، لكن فعله الذى كان منه لأهل البيت لا أرضاه . . . الخ »

أما كتاب الشريف الكتانى فلا يسمى بالجذوة بل هو (سلوة الأنفاس فيمن أقبر بفاس) وهو للسيد محمد بن جعفر الكتانى الشهير برحلته إلى الشام وإقامته بها والمتوفى بالمغرب منذ بضع سنين

فاس — محمد عمرو الفاسى

حركة الثقافة الاسلامية فى اسبانيا

قالت جريدة « المانشستر غارديان » أن المستر مارماديوك بكثول اعتزل خدمة نظام حيدر أباد وفى نيته أن يعيش فى اسبانيا حيث يواصل تحرير مجلة تصدر كل ثلاثة أشهر تسمى « الثقافة الاسلامية » صدرت منذ عشر سنوات

والمستر بكثول شاعر له مؤلفات كثيرة عن الشرق وكان يعمل فى وزارة المعارف فى حيدر أباد . وقد درس أخلاق الشعوب الشرقية فاقام عاماً فى جبل الدروز وتعلم العربية . ومال إلى أفكار بعض الشرقيين ودرس عيشة الوطنيين فى مصر وله فيها أعمال قام بها فى مستهل هذا القرن لا تزال سراً من الأسرار

مؤتمر نادى القلم الدولى

من أنباء أسبانيا أن الاستعداد يجرى فى مدينة برشلونة عاصمة قطلونيا لعقد المؤتمر الثالث عشر لنادى القلم العالمى . وسيعقد هذا المؤتمر لمدة ستة أيام بين ٢٠ و ٢٥ مايو القادم . وسيشهده مندوبون من مراكز القلم فى أنحاء العالم . وقد أعد برنامج حافل للأعمال الداخلية ، وتختلف الحفلات والاستقبالات والرحلات